المحاضرة (05) مجهودات "مالك بدري" في أسلمة علم النفس

تمهيد:البروفيسور **مالك بابكر بدري** أحد القامات العلمية التي أثرت الساحة العلمية خاصة في مجال علم النفس،فكانت إسهاماته العلمية نبراسا للطلبة والباحثين، تخطى البروفيسور مالك بدري حدود القطرية الضيقة إلى آفاق العالمية، فكانت كتبه وبحوثه ونظرياته في علم النفس محل إعجاب وتقدير من كبريات الجامعات العالمية وأهل التخصص ومراكز البحث، وتُدرَّسُ نظرياته الحديثة في علم النفس السلوكي في الجامعات البريطانية.

ومن خلال هذه المحاضرة سنغوص في تراث هذا العقل الإسلامي وسنهدف الى تحقيق الاهداف التالية

- ✓ –التعرف على إسهامات **مالك بابكر بدري** العلمية والفكرية،
- ✓ التعرف على مجهوداته **مالك بابكر بدري** القيمة في أسلمة علم النفس.

التعريف بالعالم:ولد البروفسير **مالك بابكر بدري** في 14 فبراير 1932، ووالده العالم الشيخ **بابكر بدري** أحد رجالات السودان الذي تركوا بصمات مؤثرة في تاريخهم، فهو رائد تعليم المرأة في السودان، حيث يعتبر أول من أسس مدرسة لتعليم البنات هناك سنة 1907، وكان له دور بارز في تخريج وتكوين العديد ممن كان لهم دور بارز في تاريخ السودان الحديث.

حصل البروفيسور **مالك بدري** على بكالوريوس الآداب بدرجة ممتاز من الجامعة الأمريكية في بيروت (لبنان) عام 1956م، ثم شد الرحال إلى بريطانيا، حيث حصل على الماجستير في جامعة ليستر عام 1958م ثم الدكتوراه في نفس الجامعة عام 1961م، إضافة إلى شهادة التخصص في علم النفس السريري عام 1967م.

جهود مالك بدري في أسلمة علم النفس الغربي:

كانت قناعة البروفسير مالك بدري حول أسلمة علم النفس قناعة قوية نابعة من أصول معرفية ونظريات منهجية وعلم واسع وتجربة مميزة في البحث، لذلك كان عنيداً وقوياً وجريئاً في مواجهة منتقدي فكرة الأسلمة،حيث كانت أولى محاضراته حول أسلمة علم النفس في قاعة المحاضرات العامة في الجامعة الأردنية 1965،وقد لاقت فكرته الكثير من الأسئلة الساخرة، والتعليقات التهكمية من ضمن تلك التعليقات والأسئلة: ما علاقة علم النفس بالدين؟

بعد إحدى عشر سنة من هذه المحاضرة تم استدعائه من طرف جمعية علماء علم الاجتماع المسلمين في أمريكا لتقديم ورقة بحثية حول أسلمة علم النفس بعنوان: "**علماء النفس المسلمون في جحر**

الضب" وقد كانمندهشاً من تفاعل الحضور مع فكرة البحث، خاصة من قبل علماء النفس الأمريكيين الذي دخلوا الإسلام حديثاً.

أحد هؤلاء العلماء هو السيد **Dr.John Sullivan**خاطبه قائلا: لقد اكتشفت أنني كنت أيضا في جحر ضب خلال سنوات عملي الماضية، وقد قدم هذا الدكتور استقالته كاستشاري في المستشفى ويعمل على وظيفة العلاج النفسي في إطار الأسلمة، وله كتاب مميز في هذا المجال بعنوان **Islamic Counseling.**

بعد عودته إلى المملكة العربية السعودية حيث كان أستاذاً جامعياً ومديراً للمصحة النفسية التابعة لجامعة الرياض، طلب منه عميد الكلية ترجمة ورقته البحثية "**علماء النفس المسلمون في جحر الضب**" إلى اللغة العربية، وتقديمها كمحاضرة أمام طلاب وأساتذة القسم، فقد كانت فكرة الأسلمة صادمة لغالبية الأساتذة ثم بدؤوا يرددون السؤال ما علاقة علم النفس بالإسلام، وبعضهم غضب جداً بسبب انتقاداته لنظريات **فرويد**.

الكثيرون من أساتذة علم النفس في تلك الفترة لم يستطيعوا استيعاب فكرة الأسلمة، واعتبروها ضرباً من العبث بسبب تضخم الأنا والاعتماد الأعمى على الغرب ومجاراته في كل صغيرة وكبيرة. يتوهم هؤلاء العلماء أنهم قادرون على التحكم والتنبؤ بجميع جوانب السلوك الإنساني، لكنهم في الحقيقة من الصعب أن يستطيعوا ذلك، وقد عبر عن هذه الحالة الدكتور **عبدالله الصبيح** عالم النفس السعودي في كتابه تمهيد في التأصيل، حيث كتب في الصفحة(29) قائلا: "أن أحد زملاءه عبر بشدة عن عدم جاهزيته "لأسلمة علم النفس" لطلابه حتى تحصُل هذه الفكرة على اعتراف من الهيئات العلمية الغربية، هنا مكمن الخطأ والضعف حين يرفض أستاذ مسلم فكرة الأسلمة، وينتظر علماء النفس الغربيين حتى يُقدموا اعترافا ضمنيا بها كي تكون الفكرة مقنعة ومستساغة بالنسبة له".

هذه التجربة بينت أن علماء العرب يرفضون فكرة أسلمة علم النفس دون أبسط تفكير أو تحليل للفكرة. هم غربيون في أفكارهم أكثر من الغربيين أنفسهم، ومن المحزن القول بأن علماء النفس الغربيين يتعاملون مع الفكرة بأسلوب علمي نقدي ويعتبرون أن علم النفس بحاجة إلى دراسة الثقافات الأخرى.

وحسب **مالك بدري** فإن بعض علماء النفس الغربيين اكتشفوا أن علم النفس المعاصر يتأثر كثيرا بالمدرسة الأمريكية، حيث أن نتائج **Eysenck**عن تلك التجارب التي يتم إجرائها على الحيوانات تستخدم كمواضيع للطلبة الأمريكيين.

وقد عبر عالم النفس البريطاني في مقال له نشر سنة 1995 في **مجلة السيكولوجية Journal of World Psychology** حيث قال: "العديد من الدراسات التي لدينا اليوم تعتمد على دراسات الطلبة

الأمريكيين على الجرذان، الحمام، والمختلين عقليا، ومن الواضح أن هذا لا يكفي لتأسيس مسلمات علمية لعلم النفس على مستوى العالم بمختلف ثقافاته وأعراقه وأشكاله".

وبهذا فقد اضطر علماء النفس إلى الإقرار بكون الدين عاملاً مساعداً للصحة النفسية والجسدية بعد أن تجاهلوه وقللوا من قيمته، وهذا مَثَّلَ نقطة تحول مهمة في علم النفس، بل أن علم النفس المعاصر يعتبر الدين عاملاً مهماً في إعادة الطمأنينة إلى النفس، وكثير أيضا ممن يخلطون بين علم النفس وبين ما ذُكر في القرآن من الأنفس الثلاث، **ففرويد** يتحدث عن ثلاثة أنفس، لا يتحدث عن أنفس في الحقيقة، إنما يتحدث عن مكونات الشخصية الإنسانية، هذه المكونات هي الذات الدنيا الذات الوسطى والذات العليا، وتسمىفي اللغة الإنجليزية **the id, the ego, and the superego**هذه مكونات تصور لما يكون الشخصية الإنسانية.

أما القرآن يتحدث عن أنفس، النفس لطيفة روحية، وأما **فرويد** يتحدث عن مكون لشخصية الإنسان، كأن تقول مثلا هذه الغرفة مكونة من إسمنت وزجاج وخشب، هذه المكونات التي تكونت منها الغرفة، هو يعتقد أن الشخصية الإنسانية **personality** مكونة من هذه الأشياء الثلاثة، فليس هناك صلة بين الاثنين، ولعل أول من بدأ يرى هذا التشابه الظاهري ويتحدث على أن ما يتحدث عنه القرآن هو ما تحدث عليه **فرويد** كان العالم العلامة **العقاد** ثم تبعه كثير من الناس، فالقرآن عندما يتحدث عن النفس الأمارة هي النفس ككلها تصبح أمارة، يعني كما يقولون في لغة علم النفس **State Ego**، يعني كل النفس تصبح حيوانية أمارة بالسوء أمارة بالإسراف في الأكل بالإسراف في الجنس الحرام وغيره هذه النفس الحيوانية الأمارة، ثم إذا ندم الإنسان على ما فعل،لكن الأهم من ذلك هو أن علماء المسلمين الأوائل استفادوا من القرآن في علاج الأشخاص العاديين الذين عندهم مشاكل في الإدمان أو حتى مشاكل أخرى،**فأبو حامد الغزالي** الذي يقول إنه:"إذا وجد الشيخ تلميذه يعمل عملاً سيئاً جداً فلا يحاول أن يفطمه على هذا العمل بسرعة، ينقله من عمل سيء جداً إلى عمل سيء، ثم بعد ذلك من العمل هذا السيئ الأخف إلى أن يتركه".

فحسب **مالك بدري** فعلم النفس الغربي علم يقوم على تصور للإنسان مادي،**ففرويد** قد بنى نظريته على أن الإنسان عبارة عن حيوان تتحكم فيه دوافعه الجنسية والعدوانية، وأن الإنسان بطبعه أناني وشرير، ثم أتت السلوكية لتقول أن هذا غير صحيح، ولكنها أتت بمفهوم آخر وهو أن الإنسان لا طبيعة له، وأن البيئة هي التي تشكله، وجاء أصحاب الفكر ما يسمى بعلم النفس الإنسانيPsychology Humanistic وقالوا بأن الإنسان له طبيعة خيِّرة، ولكن هذه الطبيعة الخيرة يجب ألا يتدخل المعالج في اعتقادات الشخص الذي أتى له للعلاج، وخصوصا تجنب الجوانب الروحية والدينية في العلاج، أن هذه الأفكار عن الإنسان فيها اختلاف كبير بينها وبين نظرة الإسلام للإنسان كممتحن في هذه الأرض، وبأن عنده

ناحية روحية من نفخة الروح، فالإنسان يجمع بين الاثنين ولا يسعد الإنسان إلا إذا استخدم معه الأسلوب الذي يسمو بروحه ويجعل مصائبه في الدنيا ينظر لها من قبل وجهة نظر القدر، ومن وجهة نظر أن هذا ما يشعر به من آلام وأتعاب إنما سيجازى بها في اليوم الآخر.

الآن بعض علماء النفس وحتى الأطباء في الغرب بدأوا يهتمون بالناحية الروحية للإنسان والناحية الأخلاقية، ومن أشهر هؤلاء العالم المسمى **بينستون وبينستون**الذي تحدث عن أن الإيمان بالله شيء مغروس في الجنس البشري، وأن الإيمان باللههو الاعتقاد الأساسي الذي يعطي الإنسان سعادة ويشفيه من الأمراض الجسمية والنفسية، وتحدث في هذا الأمر في عدد من كتبه، ولكن بشكل عام هؤلاء أقلية، أما الأكثرية الساحقة ما زالت تتبع المدارس النفسية التي تتحدث عن الإنسان على أنه حيوان، وأن ليس للجوانب الروحية أهمية؛ ليس هذا فحسب، بل السلوكية حتى كانت ترفض الإحساس بالوعي وترفض الناحية الروحية ولا تركز إلا على ناحية المثير والاستجابة، فالإنسان حقيقة لا يمكن أن يسعد بدون إيمان، وبدون إيمان بآخرةٍ، وبدون إيمان بالقضاء والقدر.

الحقيقة، القرآن الكريم ليس كتاباً في علم النفس، ولكن المبادئ النفسية الموجودة في القرآن يستمد منها الناس خصوصا العلماء والمعالجون النفسانيون في الأزمان السابقة في أساليب علاجهم وفي فهم السلوك ودوافعه، فما في شك كما يقول علم النفس أن النواحي الأساسية التي تؤثر على الشخصية وتكونها هي نواحي بيولوجية جسمية ونواحي نفسية، التربية في البيت وفي المدرسة وغيره ونواحي حضارية اجتماعية، لكن نزيد على ذلك الناحية الإيمانية الروحية.

أسئلة النشاط التقويمي:

-لاقي مالك البدري رفضا لافكاره في اسلمة علم النفس لماذا؟

- لخص اهم مجهودات مالك البدري في التاصيل الاسلامي لعلم النفس؟